سورينام ١٩٨٢ - ١٩٨٤
مرة أخرى، الفزاعة الكوبية

كان بالتأكيد أمراً غير معتاد أن يطلع مدير وكالة المخابرات المركزية الكونغرس، مسبقاً، على خطة ما من خطط الوكالة للإطاحة بحكومة أجنبية. وقد قال وليام كولبي أمام لجنتي المخابرات في مجلسي النواب والشيوخ الأمريكيين في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٢: إن الرئيس ريغان خوّل وكالة المخابرات المركزية سلطة محاولة الإطاحة بحاكم سورينام الكولونيل (ديزي بوترس Desi Bouterse) وقيل: إن خطة الوكالة كانت تقضي بتشكيل قوة شبه عسكرية من المقيمين في المنفى لغزو سورينام لآن بوئرس، الذي كان استولى على السلطة في انقلاب عسكري عام ١٩٨٠. يقود هذا البلد الصغير في أمريكا الجنوبية نحو «الفلك الكوبي» الشهير والبغيض[١].

ومع أن أعضاء لجنتي الكونغرس «لم يعارضوا من حيث المبدأ فكرة محاولة الإطاحة بحكومة أجنبية»[٢]. إلا أنهم اعترضوا على الاقتراح على أساس أنه لا يوجد دليل يثبت أن كوبا كانت «تستغل الحكومة في سورينام أو كانت تحصل على موطىء قدم عسكري في ذلك البلد»[٣].

وبقدر ما لم تكن حجة عقلانية من هذا النوع تترك تأثيراً عميقاً في ذهن رونالد ريغان أو تكبح إلى حد بعيد وكالة المخابرات المركزية، لم يكن ثمة سبب للاعتقاد بأن هذه كانت نهاية القصة.

بل ولاحتى بدايتها. قبل ذلك بشهرين، أي في تشرين الأول (أوكتوبر)، كانت حكومة بوترس قد هددت بطرد دبلوماسيَّيْن أمريكيين اتهمتهما بتشجيع نقابات العمال المحافظة في البلد، وبلعب دور رئيسي في تنظيم مظاهرات معادية للحكومة وإضرابات ترمي إلى إسقاط الحكومة[٤]. ثم أعلنت سورينام في الثامن من كانون

الأول أن محاولة انقلاب جرت ضد الحكومة. وقد اعتُقل عدد من المتآمرين المزعومين بعضهم يتظاهر «بأنه سكران وهو يحاول الهرب» ومن الجلي أن ذلك تعبير ملطف عن إعدامهم. لقد ادعى بوترس أن المعتقلين كانوا يتآمرون مع وكالة المخابرات المركزية[٥]. أحدهم، والذي فقد حياته، وكان زعيماً لنقابة محافظة يدعى (سيريل دال Syril Daol) سبق له أن ساعد في تنظيم مظاهرات ضد الحكومة في وقت سابق من ذلك العام وقيل: إنه كانت له علاقات مع وكالة المخابرات المركزية عن طريق ارتباط نقابته المسماة (مويدربوند Moeder bond) بالمعهد الأمريكي للتنمية العمالية الحرة التابع لوكالة المخابرات المركزية (AIFLD)[٦].

في الشهر اللاحق طُلب فعلاً من الدبلوماسيَين الأمريكيين أن يغادرا البلد بسبب «نشاطاتهما المخربة للاستقرار»[٧].

في شهر تموز (يوليو) عام ١٩٨٣، تضخمت المؤامرة. وقد ذكرت جريدة «نيويورك تايمز» أن غزواً لسورينام كان محدداً له الأول من ذلك الشهر من قبل مرتزقة قاعدتهم في ولاية فلوريدا، قد أُلغي بعد أن اكتشفت خطط الغزو من قبل وكالة الأمن الداخلي في هولندا، الدولة التي كانت تستعمر سابقاً سورينام، وكانت آنذاك تسمى (غيانا الهولندية Dutch Guiana). وقيل: إن قوات الغزو كانت تتألف من نحو ٣٠ رجل نصفهم مواطنون من الولايات المتحدة ودول أمريكية جنوبية أما الباقون فإنهم من مواطني سورينام، وكان مقرراً نقلهم بالطائرة من فلوريدا إلى مدينة (باراماريبو Paramaribo) عاصمة سورينام الواقعة في الطرف الشمالي لأمريكا الجنوبية. وكانت الخطة تقضي بتعزيز الغزاة بعد ذلك بمواطنين من سورينام يعيشون في المنفى ويتم نقلهم من هولندا. هذه المجموعة الأخيرة كانت مخترقة من الهولنديين لكي يطلعوا منها على الخطط[٨].

وكما جرت العادة فيما يتعلق بالأهداف الأمريكية في أمريكا اللاتينية، وجدت القصص حول وجود أعداد كبيرة من الجنود الكوبيين في سورينام طريقها إلى التداول دولياً. وعلى غرار نظرائهم في جامايكا وغرينادا، ظل هؤلاء المحاربون أشخاصاً خرافيين.

في ربيع عام ١٩٨٣، عقدت سورينام اتفاقيات مع الحكومة اليمينية في البرازيل المجاورة تنص على تقديم مساعدة اقتصادية وعسكرية وتدريب عسكري. وحسب تقديرات إدارة ريغان كان ينبغي أن تكون سورينام آنذاك في «الفلك البرازيلي». أما الحقيقة ببساطة فهي أن سورينام، شأنها شأن غيرها من الدول النامية، كانت مستعدة لقبول المساعدة من أية جهة تستطيع الحصول منها على مساعدة. والواقع أن البرازيل، التي اعترفت علناً أن غايتها كانت «إنقاذ سورينام من كوبا» قد قامت بخطوتها بناء على إلحاح من واشنطن[٩]. تطورت الأمور بحيث أن بوترس طرد في شهر تشرين الأول (أكتوبر) جميع المستشارين الكوبيين وأعضاء السفارة الكوبية، بمن فيهم السفير، وعلّق جميع الاتفاقات المعقودة مع هافانا. وقد أعلن عن الطرد في اليوم الذي غزت فيه الولايات المتحدة غرينادا، وكان الطرد بتأثير اعتقاد بوترس بأن كوبا لعبت دوراً ما في الإطاحة (بموريس بيشوب Mau-rice Bishop) وأنه بالتالي يمكن أن يواجه مصيراً مماثلاً، إن لم يكن غزواً مماثلاً[١٠] وكما رأينا فإن هذا الاعتقاد بشأن كوبا لم تكن له أية صلة بالحقيقة بل من المحتمل أنه كان نتيجة لتشجيع من الولايات المتحدة. وقد ذكرت مجلة «نيوزويك» فيما بعد أن «الدبلوماسيين الأمريكيين في العاصمة باراماريبو كانوا حريصين على إبقاء بوترس معتقداً بوجود دليل على أن كوبا ساعدت الانقلاب في غرينادا، وأن الباقي ترك لنزعة الريبة المضخمة لديه»[١١].

وفقاً لكل الروايات كان ديزي بوترس مقصراً جداً كزعيم وكشخص. فقبل أحداث تشرين الأول (أكتوبر) بوقت طويل قالت الأنباء: إن كوبا وغرينادا أعربتا في أحاديث خاصة «عن الانزعاج وحتى الغضب بسبب الأذى الذي لحق بصورة اليسار في المنطقة على أيدي من كان البلدان يعتبرونهم ثوريين غير ناضجين يقودون ثورة غير ناضجة»[١٢]. ومع أن بوترس كان قد تعلم أن يردد كالببغاء كليشيهات الاشتراكية ومعاداة الإمبريالية، بدت مبادئه كامنة في مكان آخر. وحسب أقوال أحد الدبلوماسيين في سورينام «بوترس عبارة عن حرباء». الشيء الأول بالنسبة له هو

سلامته الشخصية، والشيء الثاني هو بقاؤه الرجل الذي يتولى السلطة»[١٣]. لقد اتهم بوترس أحياناً بادعاء وجود مؤامرة ضده كذريعة للتخلص من بعض الذين عارضوا حكمه (كانت هناك مزاعم عن وقوع عدة محاولات انقلابية أخرى إضافة إلى المحاولة التي وقعت في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٢ المذكورة أعلاه). خلال المدة الواقعة بين كانون الأول ١٩٨٣ وكانون الثاني ١٩٨٤ اهتزت سورينام من جراء احتجاج آلاف العمال المضربين على زيادات في الضرائب وعلى ارتفاعات حادة في الأسعار. وإذ صدرت دعوات لعزل رئيس الوزراء (إيرول اليبوكس Errol Alibux) وحدثت أعمال تخريب خطيرة لمؤسسات الكهرباء والمياه، رضخ بوترس فعزل اليبوكس وألغى زيادات الأسعار ولكنه لم يوافق على المطالبة بأن يعيد العسكريون السلطة إلى المدنيين[١٤] ومع أن هذا السيناريو يذكر بأنشطة وكالة المخابرات المركزية في غيانا البريطانية وجامايكا وغيرهما، وما سبق لحكومة سورينام أن اتهمت به الولايات المتحدة في تشرين الأول ١٩٨٢، لم يرد أي خبر عن ضلوع وكالة المخابرات المركزية في اضطرابات تلك المدة. ولكن كشف النقاب في عام ١٩٨٥ عن أن مؤسسة المنحة الوطنية للديمقراطية التي كان يموّلها الكونغرس لدعم المنظمات الأجنبية المتعاطفة مع أهداف السياسة الخارجية الأمريكية كانت تمول منظمات في سورينام خلال المدة الواقعة بين عامي ١٩٨٣ - ١٩٨٥[١٥].

openkandi.com